

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ردمد 7163- 1112 العدد 17 (2012) : 81 - 98
http://elwahat.univ-ghardaia.dz

الوظيفة الأخرى للطاولة التعليمية
مقاربة سوسيولوجية لظاهرة الكتابات الغرافيتية[1]

باي بوعلام
قسم علم الاجتماع جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان

مقدمة عامـة:

يتموقع مقالنا -المتواضع- ضمن مجموعة مقالات نَرُوم نشرها مستقبلا، تتعلق بظاهرة اجتماعية معاصرة في غاية الأهمية، العلمية والعملية، ألا وهي، ظاهرة "الغرافيتيا" (Graffiti) بالمجتمع الجزائري عامّة، والمجتمع الطلابي (الجامعة) خاصة. نركّز في مَتن هذا المقال على ملخص مطول، لأهم الفئات الغرافيتية التي خلصنا إليها في دراستنا السابقة حول هكذا ممارسة، وفعل اجتماعي.

بدايةً، يتميّز الإنسان عن غيره من الكائنات الأخرى بنسق معقد ومركب من الرّموز، والإشارات والدّلالات، وعالم الرّموز لديه يمثل عودة إلى صميم كينونته، لأنّه يحتاج لما اِمتلأت به نفسه من توترات واضطرابات، وقلق وأزمات، للتّعبير عنها، بمختلف الكيفيات والأنساق والوسائل. ومن ثمّ، كانت الكتابة باختلاف أنواعها وأشكالها، من أهم الممارسات والظّواهر الاجتماعية التي عرفتها المجتمعات الإنسانية قديماً وحديثًا، ومن بين الوسائل التّعبيرية التي من خلالها يستطيع التّعبير والتّنفيس عمّا بداخله.

هذا ما أثبتته العديد من الدّراسات (الأركيولوجية والتّاريخية، اللّغوية والنّفسية والسوسيولوجية،..)[2]، تجلّى ذلك، من خلال ما أُكتُشِف من نُقوش وخَربَشات ورسومات، ما زالت جاثية إلى يومنا هذا، على الصّخور والجدران، وجَنَبات الكهوف والمغارات، ومن ثمّ، كانت الكتابة/الغرافيتيا منتشرة عبر مختلف تضاريس الحياة الاجتماعية، لهذا الإنسان، باعتباره كائنًا اجتماعياً، ورامزاً لما بداخله، وما حوله.

ومع تطور المجتمعات، وتَعَقُّد أنساقها وتنظيماتها، زادت الحاجة للكتابة، قصد تيسير عملية الاتصال والتواصل بين أفرادها. في البداية كانت هذه المَلَكَة (الوسيلة) مقتصرة على النّخبة، لتنتشر مع تطور السّياق الحضاري للمجتمعات بين العديد من الفئات الاجتماعية، نظرًا لتطور المؤسسات الاجتماعية التي تسهر على تعليمها للأجيال المتعاقبة، بعدما عَمَدَ المجتمع لاحتضانها وتَرسيمها لصالحه، قصد تيسير عملية نشر ثقافته الشّرعية والرّسمية بين جميع فئاته، بُغيَة استيعابهم وتَدجِينِهِم، والهيمنة عليهم، (الوظيفة الأيديولوجية). إلاّ أنّ هذا لم يمنع من ظهور أفراد وجماعات لم يقبلوا هذه الأدلَجَة الرّسمية، لأسباب عدّة، فاعتمدت بدورها على الكتابة للتّعبير عن امتعاضها ورفضها لهذه الهيمنة الثّقافية. وُصِمَ هذا النّوع من الكتابة -من طرف المجتمع الرسمي-بالكتابة غير الرسمية، وغير الشرعية، ويُقصد بذلك كل الكتابات التي تنبلج خارج سياق التّنظيم الرّسمي، الذي ينظم -ويُطَقسِنُ-مبادئ وآليات وقوانين كتابتها، ويصهر على شَرْعَنَة عملية تسويق المنتوج الثّقافي عامة، والكتابي خاصة.

ومن بين أصناف هذا المنتوج غير الرسمي، الكتابة الغرافيتية، أو (الخَربَشة Gribouillage)، كما يسميها البعض. التي انتشرت بالعديد من الفضاءات المَدِينِيَة، شاغلةً الكثير من الرّكائز والحامِلات les supports، العامّة والخاصة، إذ نَلحَظها على جدران السّاحات العمومية، المراحيض، مداخل العمارات، واجهات المحلاّت، وأعمدة الكهرباء ومخادع

الهاتف، الصّفائح المعدنية (إشارات المرور، واللافتات الإشهارية)، وغيرها من المساحات، داخل الفضاءات المختلفة، كالمؤسسات الاقتصادية، الثّقافية، التّربوية، العسكرية، العقابية...الخ.

وتعتبر المؤسّسة الجامعية من أهم 'الفضاءات الـمَغلُوقَة Espaces fermés' التي غَزَتها هذا الممارسة بكثافة، حيث انتشرت عبر وسائط عدّة، كالجدران والأعمدة والأبواب و... وحتّى المكاتب والمقاعد والطّاولات/المناضد. نزعم ونفترض، أنها تعبّر عن أفكار وتصورات فئة مهمّة من المجتمع الجزائري، ألا وهي "فئة الطلبة"، التي تمثل حسب الخطاب الرّسمي نخبة المجتمع (قِشدَة المجتمع). ومنه يمكن اعتبار ظاهرة الكتابات الغرافيتية بالفضاء الجامعي ظاهرة سوسيوثقافية، حُبلَى بالدّلالات والمعاني. وتُوحي بقدرة رمزية قوية، لدى الطّالب الجامعي (المُغَرفِت Le Graffiteur)، باعتباره فاعلاً اجتماعيًا يُهَندس النّظام التّعليمي والثّقافي للمؤسّسة، وللمجتمع، بهدف التّعبير عن خصوصيات كيانه الذّاتي (الأنا)، والجماعي (النَّحن)، من خلال مضامين غرافيتية، تعكس قيم وأفكار ومعايير ثقافته المُتميّزة والمميِّزة. اِلتَجَأ لهذا الوسيلة والدعامة بسبب ثقافة التّهميش (العَمدي وغير العَمدي)، بالإضافة لعدم تَوَافُر فضاءات مناسبة، لمتطلباته الثّقافية اللّحُوحَة، وفي نفس الوقت تتوافق مع تعاليم الثّقافة الرّسمية، السّاهرة على إنتاج وإعادة إنتاج الرأسمال الرّمزي والثّقافي للمجتمع.

كثيرًا ما لازمت النّظرة الإنتقاصية والتَّحقيرية الممارسة 'الغرافيتية'، بتعدد أشكالها وأنواعها. إذ وُصِفَت وما زالت -للأسف-بالسلوك غير الأخلاقي، وغير الحضاري. وأن فاعلها غير بعيد عن الشخص غير المُتمدِّن وغير المتحضّر، وغير "المَتْرَبِي" (بلفظة الحس المشترك)، مثله مثل باقي المنحرفين، الذين يتطاولون على القوانين التي تضبط النّظام العام للمجتمع[3].

إلاّ أن انتشار الظّاهرة بشكل مَهولٍ، جعل العديد من الباحثين في مجالات علمية متعدّدة (علم الأركيولوجيا، علم النفس، علم الاجتماع، الأنثروبولوجيا، علم الاتصال والأدب... يقتنعون بقيمتها البحثية والعلمية، كظاهرة يمكن من خلالها تَكَشُّف الوَجه العَميق والخَفِي للمجتمع[4]، خاصة بالمجتمع الأمريكي، والمجتمعات الأوروبية، إذ كانت السَبّاقة في اِستجلاء أسبابها ومُوجِّهاتها، ومرجعياتها الثقافية والأيديولوجية، المرتبطة بكل ثِقلها وتَموقعها التّاريخي. ومُلامستها كمؤشّر رئيسي لتميّز فئة اجتماعية معيّنة، ألا وهي فئة 'الشّباب'. ومن هنا، يمكن الجزم أن الكتابات المنتشرة على العديد من المساحات الـمُؤَثِّثَة للفضاء المجتمعي عامة، والجامعي خاصة - المجال المكاني للدّراسة-، تكتسب أهميتها البحثية، من حيث أنّها وسيلة تعبيرية/إعلامية (غير رسمية)، للأفراد والجماعات (للطلبة)، حُبلَى بالرّسائل المتعدّدة المضامين، من المرسل (الشّاب، الطّالب)، إلى المرسل إليه (المسؤول، المجتمع).

فهي ليست ظاهرة معزولة عن المجتمع الطّلابي، ولا عن المجتمع الجزائري ككل، بل إنها الأكثر اِلتصاقًا والأعلى شأنًا، والأوضح دلالةً وتعبيراً، إذا أردنا أن نستشعر -حقيقةً- ما يدور في أذهان طلبتنا، واستجلاء أفكارهم وتَمَثُلاتِهِم، للعديد من القضايا، بل ونفسياتهم أيضًا، ومن ثمّ، نستشف قيم ومعايير ثقافتهم الخاصة، التي تحدّد مَلامحهم الهويّاتية[5]، لأنها (الكتابات)، عكس بعض القيم المشتركة بين الفاعليين Les graffiteurs، باعتبارهم فئة متميّزة، بثقافتها الخاصة. وفَهم هكذا ظاهرة، يمكّننا من استثمارها كمقياس موضوعي- بعيدا عن لغة الحس المشترك (السِّياسَوِي)-لكشف مواقف واتجاهات وسلوكيات المجتمع ككل، وتَلَمُّس منحنى-بل منحنيات-التّغيرات التي تحدث على قيمنا الثّقافية[6].

بالإضافة، إلى أن الممارسة ليست فعلاً اعتباطياً، لا شعورياً[7]، بل تعبّر عن مكنون داخلي

(مضمرLatent) يستحق الاهتمام والدّراسة، قبل أن يتحول إلى سلوك عنيف مباشر. ولعل انتشار ظاهرة تكسير وتخريب الممتلكات العامّة التي أضحت (موضة) عصرنا، في كل فضاء، لخير دليل على ما نقول. ولنا في التّاريخ الإنساني عِبرة لمن يعتبر، خاصة من خلال مخلفات ما يعرف بـ 'الثّورة الطّلابية' بفرنسا، سنة 1968. إذ أضحت مؤشرًا واضحا لمآلات المجتمع، إذا لم يُعطي أهمية لهذه الفِئة[8]. يوجز ذلك "دومينيك رينيي Dominique Reynié" بقوله "إن المجتمعات تدفع غالياً عندما تُهمل شبيبتها"[9].

معالم إشكاليتنا ما فَتِئَت تتّضِح وتتحدّد، عبر مختلف مراحل البحث، وذلك بالذّهاب والإيّاب بين الميدان (الكتابات المرصوصة)، والفرضيات المقترحة، وسؤال الانطلاق الموجه، الذي صغناه كما يأتي:

- ما مضمون الكتابات (الخربشات) المنتشرة في الفضاء الجامعي؟.

وتأسيساً على مستجدات المرحلة الاستطلاعية، (القراءات + الملاحظات الميدانية)، صغنا الإشكالية التالية:

تعتبر الطاولة (المنضدة)، من أهم الوسائل البيداغوجية المهمّة في العملية التّعليمية/التعلّمية التي تُعْتَمَل في دهاليز المؤسّسة الجامعية، غير أن الملاحظ اليوم في جامعاتنا عامّة، وفي جامعة تلمسان خاصة، وفي كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية بالأخص، أن هذه الطّاولة اكتسبت بل أُكسِبَت وظيفة أخرى (ثانية)، إذ أضحت حاضِنةً وحاملةً لمضامين غرافيتية مختلفة، باختلاف الطّلبة المتعاقبين عليها، نفترض أنها عاكسةً لأبعاد ثقافة طلابية متميّزة.

- فيا ترى، ما مضمون هذه الكتابات الغرافيتية؟.

- وما الدلالة السوسيولوجية التي يمكن استشفافها من هذه كتابات؟.

للإجابة على هذه الأسئلة صغنا الفرضيتين التاليتين:

- تُعبِّر هذه الكتابات عن مضامين مُؤَنِّثَة للثقافة الطلابية.

- تعكس هذه الكتابات أبعاد ثقافة طلابية متميّزة عن الثقافة التنظيمية الرسمية.

تتموقع ظاهرة (ممارسة) الكتابات الغرافيتية، كموضوع بحثي مُهم وأصيل، ذلك لأنّها تعتبر بمثابة 'النافذة' التي نطلّ من خلال على خصائص الثّقافة الطّلابية، ومنه للثقافة المجتمعية ككل. حيث تكشف لنا الوجه الخَفِي للمجتمع الجزائري عامّة، وللمؤسسة الجامعية خاصّة. وَجهٌ، غالبًا ما لا يُنْتَبَه إليه، أو يُنْظَر إليه بنوع من التَّسَامي والتَّعالي و'الدُّونية البَحثية'، لاعتباره من مستويات السّلوك الصِّبياني الطائش، الهامشي واللاأخلاقي[10]. فالغرافيتيا الطلابية، مقياس موضوعي صامِت، وخفي لمناخ 'الحرم الجامعي'خاصة، وللثّقافة الطّلابية بالأخص. بلغة "روبيرت .ج. ريسنر.ReisnerR .G "إنّها "بارومتر Baromètre" لقياس حَرارة المجتمع، ولطبيعة التّغيرات الاجتماعية، أو المواقف الوطنية، أو الأَمزِجَة الشّعبية. ولأنّها تُيَسِّر لنا الحصول على معلومات ومؤشّرات ضرورية، للتّحقيق حول فشل السّلوك الجامعي، وميكانيزمات الغَبَاء التي تُعِيق الفكر، كما يعتقد ذات الباحث[11].

وعلى منوال عبارة أحد الممارسين للغرافيتيا، عندما قال:"إذا أردت أن تعرف ما يحدث في أيّ مدينة، فأنظر إلى كتاباتها الجدارية"، نتجرأ ونقول: "إذا أردت أن تعرف ما يُعْتَمَلُ داخل المؤسّسة الجامعية الجزائرية فأنظر إلى كتاباتها الغرافيتية". نذكر في البداية، إلى أن دراستنا المتواضعة، لا تقدم دروسًا من باب "يجب أن.."، فهي لا تريد اِحتقار ولا إعلاء الظاهرة، بل تحاول - قدر المستطاع- تَفَهُمَها وطرحها كما هي في الواقع، برؤية سوسيولوجية -قدر الإمكان-تنحاز عن الأحكام المسبقة.

فالكتابة الغرافيتية -حسب افتراضاتنا- ليست ممارسة طلابية فردية خالصة، منفصلة عن

"السياق الاجتماعي"، أو ممارسة غير واعية، عبثية، وإنّما نعتقد بِضُمُور خلفيات (دوافع) ثَاوِيَة وَراء إنْ كِتابِها، واِنتشارها بهذا الشّكل الملحوظ، فثمّة دوافع وأسباب متداخلة تنفتح على السّياق النّفسي العميق والتربوي، والسوسيوسياسي والثّقافي، حيث تصنع وتَستَثِير الفعل الغرافيتي، بالفضاء الجامعي (جامعة أبي بكر بلقايد)، ومنه الواقعة الغرافيتية بصفة عامّة، وتُنتِجُها على هكذا شكلٍ. وبالتالي، فليس سلوك الـمُغَرْفِتُ[12] (الطالب) في النهاية إلا لِسان حال لنفسه، ومجتمعه.

لعلّه من الأجدر بنا قبل أن نَندَلِق في تفاصيل البحث، أن نوضّح الاتجاه العام له، فالدّراسة تندرج ضمن الاتّجاه الميكروسوسيولوجي، الذي يحاول ملامسة المجتمع مقاربة مجهرية، اِنطلاقًا من تصرفات وأفعال الأفراد والجماعات. ومادام بحثنا مرتبط بالطلبة باعتبارهم فئة اجتماعية مهمّة في المجتمع، لها تأثير على مسار الرّوابط الاجتماعية والثّقافية داخل الفضاء الجامعي، ونظرًا لطبيعة الموضوع، كان لِزاماً علينا الاستعانة بالمنهج الفَهمي/التَّفهُمي، الذي يهدف للفهم العميق[13] للمعاني الذّاتية لسلوكيات الفاعلين من خلال الكتابات الغرافيتية (les Graffiti)، تزامناً مع محاولة اِستجلاء الدّوافع الخاصة لهذا الفعل، ومنه فهم مضامين هذا المنتوج الثّقافي (غير الرسمي)، وذلك بِاستنطاقنا للكتابات قصد الكشف عن مدلولها، ومن بعد تنظيرها وِفق مسائل سوسيولوجية، بُغية معرفة جزء، ولو ضئيل من الواقع المعقّد، لهذه الممارسة الطلابية، وهذا من شِيَم الدّراسات الاجتماعية.

ولبلوغ مبتغانا اِعتمدنا على المقاربة الثّقافية L'approche culturaliste، إلا أن هذا لم يمنعنا من الاستعانة بمقاربات أخرى، كمقاربة "الدّوافع"، خاصّة عند تلمُّسنا لأهم دوافع هذه الممارسة. وبالموازاة مع ذلك حاولنا اِستخلاص الوظيفة الثّانية (الجديدة)، للطّاولة التّعليمية. اِعتمادًا على تقنية تحليل المضمون (l'analyse de contenu) للكتابات، والتي مكنتنا من الحصول على بيانات ومعلومات بالغة الثّراء، وساعدتنا على فهم وتَفَهم مغزى هذه الظاهرة ومضامينها، وأبعادها السوسيوثقافية، ودلالاتها الممكنة.

إن أي ّتحليل سوسيولوجي يعتمد على تحقيق ميداني يسمح بجمع أكبر قدر ممكن من المعطيات (الكتابات الغرافيتية)، ضمن حيّز مكاني، شمل مختلف الأقسام المُهَندِسَة لكلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، لجامعة أبي بكر بلقايد بتلمسان، معتمدين على الملاحظة المباشرة للآثار الغرافيتية. دامت عملية تجميعها خمسة أشهر (من جانفي إلى ماي 2008). من مختلف أقسام الكلية، من على حامِلات (Les supports)، حصرناها -عمداً-في "الطاولة التّعليمية"، هذا لا يعني عدم تواجد الكتابات على وسائط أخرى، وإنما حصرناها في الطاولات بإعتبارها أكثرها حمولة لهذا "المنتوج الغرافيتي"، وأقربها حميمية للفاعل.

تمت عملية جمع الوحدات الغرافيتية خلال أوقات فراغ القاعات والمدرّجات. باعتبارها الفترة المناسبة لخصوصية عيّنة البحث (العيّنة المتعمّدة/ المقصودة)، التي شملت كل الطاولات الحُبْلَى بالكتابات الواضحة والمقروءة، بمختلف معاهد الكلية (علم الاجتماع، علم النفس، الفلسفة، الأدب، اللغات، التّرجمة، التاريخ،...). إلا أنه يجب الإشارة إلى عيّنة غير مباشرة، أخذناها بعين الاعتبار خلال عملية التّحليل، ألا وهي "الطلبة" (الفاعلون)، ذلك أن هذه الكتابات هي اِنعكاس (آثار des traces) لفئة عُمْريَة يتراوح سِنّها ما بين 18 و24 سنة، مع بعض الاستثناءات، أرادت أن تعبّر عن ثقافتها المتميِّزة.

1. المفاهيم الـمُهَندِسَة للدّراسة:

بدايةً، سنحاول التَّأثِيل لبعض المفاهيم الأساسية التي وظّفناها في مقاربتنا لموضوع الكتابات الغرافيتية، محاولة منا مَنح هذه المصطلحات نوعاً من الإجرائية في الاستعمال.

1.1. الكتابات الغرافيتية و هَيمَنَة المَحمول الغربي:

وَلَجَت مفردة "غرافيتي Graffiti" التّداول المعجمي في القواميس الإنجليزية عام 1851. وذكرت عنها قواميس التَّجذِير وتعليل أصل الكلمات والألفاظ، أنّها ذات أصول لاتينية ويونانية وإيطالية، أين اكتسبت دلالاتها النّهائية. منذ ذلك الوقت عرفت تحويرات متعددة في الدّلالة والمعنى، بعدما كانت تدل على تلك الكتابات التّاريخية التي تركها الإنسان القديم على جنبات الكهوف و المغارات.

يحضر المفهوم في لغات العالم بِبُنَى ومَعاني مختلفة، ففي اللّغة الإغريقية نجد كلمة "Grapheim" تعني "يكتب، يرسم و-بعض المرات- يُلَوِن". أمّا في اللّغة اللاّتينية فأصل الكلمة يعود لكلمة "Graffiare" وتعني: يُخَرْبِش، يَخْدُش و يَكْشُط.

في حين، نجدها في اللغة الإيطالية، مشتقة من كلمة "Sgraffito " وتعني "يَخدُش، ويُخربِش". تطور اشتقاقها لكلمة "Graffito"، مفرد "Graffiti". ومعناه "كَتَب وخَدَشَ أو خَمَشَ أو حَكَّ سَطحاً". بشكل عام، تُشير كلمة "غرافيتي" Graffiti "في اللّغات الأوروبية إلى: أيّة كتابة أو رسم أو نقش أو خَدْش، أُنْجِز باليَد، على الجدران[14].

من الجانب الصّرفي للمفهوم، اختلف المنظّرون حوله، في اللّغة الإيطالية،كلمة "Graffiti" هي مجموع كلمة"Graffito". هذا التَّمييز الذي اِحترمته" L'encyclopédie Anglaise"، وحادَت عنه " L'encyclopédie Américaine"، إذ تتحدث فقط عن "Graffiti". ولم تَقُم القواميس الفرنسية بِفَرْنَسة المفهوم، بل حافظت على أصله، وأضافت"s" لمجموع الكلمة " des Graffitis". أخذ به البعض، ورفضه البعض الآخر. أخذ به "د. ريوت Denys. Riout"، ورَفَضَه بشكل كامل "براساي Brassaï"[15] ("Graffiti")، في حين يتحدث "وليام ماك ليين William MAC LEAN" عن"Graffite" (غرافيتي مفرد)، و" plusieurs Graffiti" "(الغرافيتيا بالجَمع)[16]. في دراستنا أخذنا برأي "Brassaï"[17].

خلال النصف الثاني من القرن العشرين، أضحت كلمة "غرافيتي/ غرافيتيا" تُستثمر في العديد من اللّغات لتدُل على ممارسة الكتابة (و-أو) الرسم بِاستخدام أدوات وتقنيات الكتابة التّقليدية والمعاصرة، كقِنِّينات الأصباغ والرُذّاذ، على وسائط غير مخصّصة لذلك، كالجدران، وما شاكلها. كثرت السِّجالات حولها، إذ يُرقِّيها البعض لدرجة "العمل الفنّي"، بينما يحتقرها البعض الآخر، ويُنزِلها لدَركة "الفعل التَّخريبي" للممتلكات العامة والخاصة. ففي قاموس "Le Robert" -مثلاً- ورد أن الغرافيتيا هي: كتابة أو رسم مخطوط على الحيطان، وعلى آثار المدن. وفي معناها العام: كتابة أو رسم رَكِيكٌ على الجدران، والأبواب العمومية أو الخاصة، أو خربشات سَاقطة. نُذكر، أن أول اِستعمال للمفهوم في المتن العلمي، كان من طرف الأب اليسوعي "أبي كاروسي Abbé Garruci" في دليله الموسوم بـ"غرافيتيا بومباي Graffiti de Pompeii" سنة 1859، وإن وُجِدت إرهاصاتها قبل ذلك بكثير، على مستوى الفعل و الممارسة[18].

1.1.1. الكتابات الغرافيتية الطلابية:

تأسيساً على ما سبق، يمكن تعريفها بأنّها مجموع الكتابات والرسومات والخربشات المكتوبة بخط اليد، بأكثر من لغة، تتضمن كلمات، وأرقام، وأشكال هندسية، وصور متباينة الأبعاد والألوان. أُستخدم في تجسيدها وسائل متعددة، من (طباشير، أقلام، فحم، شمع، بُراز..)، وعلى وسائط غير معهودة، كالجدران والأبواب والأعمدة و المناضد والطاولات، والمكاتب والكراسي، وما شاكلها. غزت العديد من تضاريس المؤسسة الجامعية (أبي بكر بلقايد تلمسان).

سوسيولوجيًا، نفترض أنّها تَجَلِّي لثقافة

طلابية مُتمَيِّزة، عُبِّرَ عنها غرافيتيًا على وسائط ودَعامات مخصصة لغير هكذا وظيفة أو دَور. كتابات تنقل وتعكس الـمَعَاش اليومي (Le vécu)، للطّلبة بتعدد مستوياته (الأسرية، الجامعية والمجتمعية)، في أبعادها المختلفة، فهي (أي الكتابات)، صورة للحياة العامّة والخاصة لهذه الفئة، ومنه مِرآة تفكير المجتمع ككل، يمكن تشبيهها بـ "الوَشم Le tatouage" الذي يُؤَشِّر على -بعض-ملامح هوية المؤسسة الجامعية.

2.1. الثقافة الطلابية:

نعرّفها إجرائياً، بأنها مجموع القيم والمعايير، والسلوكات والتّصورات، والحركات ورُدود الأفعال، والاستراتيجيات، والحِيَل..، التيتُميّز فئة 'الطلبة' عن باقي الفئات الاجتماعية الأخرى، والتي من خلالها يتفاعلون مع الآخر (المهم والمعمّم). هذ االآخر، الذي يمثله في الوسط الجامعي، الأساتذة والإداريين، وباقي المستخدَمين. تتشكل هذه الثقافة نتيجة التّفاعل اليومي بينهم، خلال "الزّمن الدّراسي Le Temps scolaire" (بمعناه العام)، إذ بولوج الطالب إلى الفضاء الجامعي يكون قد دخل عالمًا جديدًا، بجدية فاعليه وثقافته -التّنظيمية- الخاصة، مما يضطرّه للبحث عن كيفيات للتّأقلم مع هذا الوسط. ونظرًا لخصوصيات المرحلة السِّنِيَّة (العُمْرِيَة) التي يمربها، وثِقَل الهابيتوس الثقافي المحلي، وإكراهات الوسط الذي يتواجد فيه، يدخل الطالب في تفاعل يومي، أفقي وعمودي، يفرز نسيج من العلاقات، تختلف عن سابقاتها بالوسط الثانوي، نسيج علاقاتي مع الآخر (غير المَحَلي في أغلب الأحيان)، ومع تبلور وتطور هذه العلاقات تتشكل قيماً ومعاييرًا مشتركة مع هؤلاء، لتُؤثث ما يسمى بالثقافة الطلابية. لكن رغم وجود ثقافة طلابية متقاربة المَلامح العامة، إلا أن هذا لم يمنع الباحثين من الحديث عن تواجد ثقافات صغرى Micro cultures، في كَنَف الوسط الجامعي، قائمة على أساس جنسي (أنثوي أو ذكوري)، أو اثني أو جهوي، أو تخصصي..، ذلك أن جميع الثقافات مهما اِختلف تصنيفها مُنْشَبِكَة إحداها مع الأخريات، وما من واحدة بينها مُنفردة ونقية (كلها مُهَجَّنة). هذه أهم المفاهيم المُؤَثِّثَة للدّراسة، حاولنا بيئَتِها وأجرَأتِها حسب طبيعة موضوعنا.

2. أبعاد الثقافة الطلابية من خلال المضامين الغرافيتية:

نستعرض في الصفحات الموالية، أهم الأبعاد المُستخلَصة من المضامين الغرافيتية، وفق منطق الانتقال من المضمون الأكثر حضورًا إلى أدناه. لكن قبل ذلك، نقدم توصيفًا ظاهرياً (شكلياً) للكتابات الطلابية، من خلال تشخيص أدوات الغَرفَتَة (الكتابة)، ثم أهم ألوان تجسيدها، ومن ثمة بِنيَتِها، وأخيراً، لغاتها ولهجاتها.

بعد عملية تجميع المعطيات الميدانية، (الوحدات الغرافيتية les unités graffitiques)[19] من على الدّعامات الغرافيتية les supports graffitiques، عمدنا إلى تصنيف وتَفيِئَة (catégorisation) هذه الأخيرة، على أساس المحتوى (المضمون Le contenu)[20]. اِقتداءً بالعديد من الباحثين المرموقين، الذين اِنتهجوا الاختيار ذاته، نذكر على سبيل المثال:" J. Bushnell"[21]، "T. Cohan"[22]، "Jane Gadsby"[23]. وخلصنا لعدد من أبعاد الثقافة الطلابية.

بصفة عامة، اِستثمر الطالب أثاث المؤسسة الجامعية -وما شاكَلَه من وسائط-، للتعبير عن آرائه وآماله وطموحاته، وآهاته. بكلمتين، عن ثقافته وهويته المتميّزة. حيث تزيد قوّة وفعالية الغرافيتيا حسب "ميشال دو سيرتو Michel De Certeau"، عندما تَتَواجد مُباشرةً على واجهات وجدران المؤسّسة المقصودة من الخطاب، أو بِالقُرب ِمنها[24]. بعد تجميع المادة الغرافيتية، حصلنا على عيّنة بحث بلغت 125 وحدة غرافيتية. اِجتهدنا في تصنيفها على أساس المضمون.

1.2. المواصفات الأولية للكتابات الغرافيتية:

1.1.2. أدوات الكتابات الغرافيتية:

تعددت وسائل الكتابة الغرافيتية، من فضاءٍ لآخر، بعضها لم يَجِد عن الوسائل المعتمدة في الكتابة الرّسمية[25]، كأقلام (الرّصاص، الجافة، أقلام اللُّبَاد (les feutres)، قلم التّصحيح، الطّباشير، وبعض الأدوات الحادّة (كالمدور، المقص، السّكين،..).

2.1.2. الألوان الأكثر حضورا:

تباينت ما بين اللون الأبيض والأسود، والأحمر والأزرق والأخضر، كل الألوان النّاصعة الواضحة، التي تُبرز الرّسالة المُرَاد إيصالها للآخر. مع تسجيل درجة 'ذكاء فنّي' في الكتابة من حيث اِختيار اللّون المناسب مع لون الوَاسطة المناسبة (حامِل الوحدة الغرافيتية).

3.1.2. بنية الوَحدات الغرافيتية:

تنوعت الوحدات الغرافيتية من حيث الشّكل (البنيّة)، ما بين الكلمات والجُمل، الحروف والرّموز، الرسومات والأعداد. مع الإشارة إلى اِستعمالها متشاركةً في بعض الأحيان. لكن الغالب هو 'الكلمة'. **4.1.2 لغات/ لَهجات الفعل الغرافيتي:**

تنوعت لغة الكتابة، ما بين اللغة العربية والفرنسية، والإنجليزية والإسبانية، وبشكل محدود نسبيًا اللغة الأمازيغية، إضافةً للّهجات المحلية والعاميّة (الدَّارجَة). إلا أن هذا لم يمنع من وُرود موضة الخلط والمزج اللغوي (التّلوث اللغوي). مع تسجيل حضور ملفت للغة الفرنسية والإنجليزية، خاصة في غرافيتيا الحب والغرام، وغرافيتيا تقدير الذّات.

2.2. أبعاد الثّقافة الطلابية:

1.1.2 الحب و الغَرام بلغات العالم:

من أهم ثيمات المَتن الغرافيتي الطلابي، موضوع 'الحب والغَرام والعِشق'، بمختلف اللغات، تجلّى ذلك في مضامين العديد من الوحدات الغرافيتية، التي جمعناها. نذكر على سبيل المثال لا الحصر:

"الحب غرام و ليس حرام" قسم التاريخ."every love is very thing" قسم علم النفس.

"l'amoure c'est pas fausse"[26] قسم اللغات. " A+K= Love"قسم علم الاجتماع.

" la fille en université قسم الترجمة.

pour tout le monde love,love "

تنوعت الكتابات الغرافيتية المتضمِّنة للعاطفة والغرام، ما بين التّعبير عن مدى الهَيَام والتَّتَيُم بالمعشوق، والقدح والتّشهير (السّلبي) له، في حالة فَشل العلاقة بينهما. وردت الغرافيتيا العاطفية من حيث الصّياغة اللغوية المتنوعة التركيب، ركّزناها -في الغالب-في ثلاثة مستويات، أما المستوى الأول سَمَّيناه بـ "معادلات الحب".وأما الثّاني فتجلى من خلال رسومات لرموزٍ وأشكال و صُوَر ذات دلالات رمزية، للحب والغرام، على نحو (القلب، السّهم، قطرات الدم...).وأما الثالث، تجلىّ من خلال عبارات ذات أسلوب تعبيري مباشر، عن الحب والغرام و لَواعجه، مع تغييبٍ مقصود لاِسم و لقبِ المُغَرْفِت(ة)، أو المُغَرْفَت بِه أو له،فإمّا "الاسم" أو"اللقب"، ونادرًا ما نجدهما مَعًا في وحدة[27].

تتميّز المضامين(العاطفية)، ببعدين أساسين، البعد الأول، وهو طغيان الدّلالة والخطاب الفاضِح- حسب تعاليم الثّقافة المجتمعية- على أشكاله المباشرة، أي الخطاب الذي لا يلتزم الحدود والقوانين الأخلاقية أو الاجتماعية أو الثّقافية الرّسمية، الواجب التَّقَيُّدَ بها في الكتابة الرّسمية المؤسّسية، بالكشف عن كل إحساساته ومَكبوتاته، من خلال التّشهير بالحبيب(ة) المقصود، بكتابة اِسمه كاملا، أو بكتابة تعابير توحي بأسماء أعضاء جنسية، وكل ما يرتبط بهذا الجانب المسكوت عنه اجتماعياً[28]، وصفه بكلّ الكلمات الصّارخة، وفي حالات كثيرة، يتم تأصيل وتعميق قصده، باستعمال رموز ذات دلالة معبّرة، اكتسب دلالتها في سوق

التبادلات الرمزية العاطفية، كصورة القلب المخترق بسهمٍ، يقطر دماً.

2.2.2."التَّحْرَاز إِستراتيجية فعّالة للتعامل مع إكراهات الثّقافة التنظيمية الجامعية:

من بين المضامين الغرافيتية المعتبرة الحضور ضمن المَتن الغرافيتي، نجد كتابات مرتبطة بما يُعرف في الأدبيات البَحثية بـ "الغِش في الامتحانات"[29]، تجلّت في دراستنا ضمن ما اِصطلحنا على تسميته "بالتَّحْرَاز"[30]، ونقصد به عملية النَّقل الكُلي أو الجزئي للمعلومات أو المفاهيم أو القوانين أو التّعاريف.. التي يحتاجها الطالب يوم الامتحان -بطريقة غير رسمية- على مختلف الدَّعامات المحيطة والقَريبة من مقعده، خاصة المناضد والكراسي.من أمثلة ذلك نقرأ:

"تعريف التحليل النفسي..." علم النفس.

Σ xi yj-x .yx=y=1/r2 " علم الاجتماع.

"تقنيات البحث الميداني، الاستمارة والمقابلة وتحليل المحتوى" علم الاجتماع.

"الشعراء المخضرمين:..." الأدب العربي.

نعتقد أن هذه الممارسة، جاءت كرد فعل لإكراهات الثقافة التنظيمية، التي تُلزِم الطالب باحترام طقوس خاصة بها، في التّحضير وتجاوز -عقبة- الامتحانات. على نحو تحذيره، خاصة خلال اللّجان البيداغوجية، ويوم الامتحان من الاِلتجاء لوسائل وطرق غير (قانونية)، تُصنَّف تنظيمياً ضمن المحظور و المَمنوع جامعيًا. ويندرج فعل "التَّحْرَاز" ضمن ظاهرة أوسع كما أسلفنا الذكر، (الغش في الامتحانات)، التي أرَّقَت العديد من المسؤولين والباحثين، من بغية إيجاد حلولٍ عملية لها، أو على الأقل التّخفيف من انتشارها المَهُول. بيد أن أغلب التّقارير والدّراسات أجمعت عكس ذلك[31].

اِنتشرت ظاهرة "التّحراز" بالوسط الجامعي كإستراتيجية تعامل الطّالب مع إكراهات واِلتزامات الثّقافة التّنظيمية الجامعية، في جانبها التَّقييمي (الامتحانات)، لكن بِلمسة طُلابية خاصّة. بعدما أصبح الامتحان غاية لا وسيلة، كما يعتقد "موريس شربل M. Cherbel"[32]. ومن جهة أخرى مع بعض قيم الثّقافة الفرعية الطّلابية، الخاصّة بفئة ما (مع الإشارة إلى أن هناك تمايز جزئي بين قيم الثّقافة الطّلابية نفسها، إذ يمكن الحديث عن ثقافات طلابية فرعية، بعضها يَذُمُ ويَقْدَح فعل 'التَّحْرَاز' عكسته بعض الوحدات الغرافيتية. لكن ما يهمُنا هو تلك الممارسات المشتركة بين الطّلاب، المُتَبَنِيّن للتّحراز غرافيتياً. والذين يتصفون بثقافة فرعية تُثَمِن اِختراق واِحتقار بعض معايير الثّقافة الرسمية، لتُقَدِّس معايير خاصّة بها، تعتقد أنّها مناسبة لوضعياتها. ولتحقيق تلك الرّهانات، تتم العملية وفق حسابات إستراتيجية عقلانية، تتوزّع ما بين انتزاع النقطة، والحصول على الشّهادة، بأقل كلفة ممكنة. وفي ضوء ذلك، تتشكل -لديهم- العديد من القيم والمعايير والشِّعارات، التي تُمجِّد مثل هذه السلوكيات، ولعل أشهرها تلك العبارات التي صاحبت الطّالب منذ الأيّام الأولى من وُلوجِه المؤسّسة التّعليمية، نذكر من بينها:"من نَقَلَ اِنْتَقَل، ومن اِعتمد على نَفسِه بَقِيَ في كُرسِيِّه"، و"من أراد العُلى شَخَر اللَّيالي"، كرد فعل لِمَبنَى المقولة الضّائعة الصِّيت، "من أراد العُلَى سهر اللّيالي".

3.2.2- <u>غرافيتيا الرّفض:</u>

اِرتكازاً على مقولة الباحث المُتمرس"محمد محمود"، القائل فيها بأن "الخطاب الخَربَشي المُسَيَّج بالجدار المؤسّسِي، خطاب هادف، يَرنو إلى الاطلاع بتبليغ رسالة معيّنة"[33]. يمكن القول، أنّ من بين المضامين المتعددة للكتابات الطلابية، التي انتشرت على الطاولات، والتي ظهرت بشكل واسع بعد الكتابات العاطفية والغرامية، والتّحْرَاز، كتابات (غرافيتيا)" الرّفض"(بكل أبعاده)، أي رفض الحالة التي يعيش فيها الطالب، سواء الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية أو الأمنية أو الثقافية. فمن خلال الوحدات التي خُطَّت، يظهر جلياً، مدى الخَلل الذي يعانيه الطالب في تفاعله مع

محيطه. بدءًا بـ:

- **رفض الوضع الاجتماعي داخل الحي الجامعي:**

العديد من المضامين الغرافيتية توحي بمدى معاناة الطالب من ظروف الحي الجامعي، حيث نقرأ التالي:

"واش هذا الميزيرية في لاَسِيتِي؟" قسم الأدب العربي. "عذاب العيش للطلبة" قسم علم النفس.

"Donnemoi du pain" **قسم اللغات (الفرنسية). "لا يوجد الا** 5/5 **يا هذا". قسم الفلسفة.**

- **رفض الحالة الاجتماعية و الأمنية للمجتمع:**

بعض المضامين الغرافيتية تؤشّر على رفض واحتجاج الطالب على وضعه الاجتماعي والأمني،وتضم الكتابات التي توحي بالضّجر والتّذمر، نقرأ منها:

"Merde pour cette vie"**علم الاجتماع."كفنا دماً" و"**Terrorisme**" قسم التاريخ.**

"الرحمة ،الرحمة. الرحمة" مكتبة الأدب العربي. ." noir...noir**" مدرج علم الاجتماع.**

- **النّظرة الضّبابية للمستقبل:**

كنتيجة تكاد تكون حتمية، للظروف التي يعيشها المجتمع الجزائري، من ضغوطات وأزمات على مختلف الأصعدة، الاجتماعية، الأمنية،خاصة مخلفات "المأساة الوطنية". وباعتبار الطالب عنصرًا من الكل، يتأثر ويُؤثر في محيطه، ونظرًا لعدم تَوافُر قنوات وفضاءات تعبيرية ملائمة عن نظرته (السّوداوية والضّبابية) للمستقبل، لجأ-بل اِلتجأ- إلى 'الطاولة' قصد تفريغ وتصريف كل ما يشعر به، من ضَنَك العيش. ومن أهم المضامين المعبّرة عن ذلك نقرأ:

" الحياة ملئ بالعذاب هنا " قسم علم النفس."Ou va l'Algérie ?**" قسم اللغات (الفرنسية).**

" la vie est donné pour touts...sauf à moi ? " نفس المكان.

بالإضافة، لنوع آخر من المضامين، تؤشّر على تمثلاته "للهُنَا" ولـ"لـهُنَاك"، ولـ"لأنا" ولـ"لآخر"، والتي يمكن توصيفها بحالة "اللُّهاث وراء الضّفة الأخرى"، تجسّدت من خلال كتابة أسماء البلدان والعواصم الأوربية وغير الأوربية. دلالة اللّهفة والشّوق للهجرة، "أو كما تُسمى بـ"أحلام الهجرة"(الحَرْقَة) المجسّدة على العديد من جدران مدننا. ففي حي 17 أكتوبر 1960، ببلدية جسر قسنطينة في الضّاحية الجنوبية من العاصمة (الجزائر)، كتب أحدهم على جدار عمارة، عبارة معبّرة يقول فيها:"اذهبوا إلى بريطانيا فإن بها ملكة لا يُظلم عندها أحد"، دعوة للهجرة (هجرة الظلم). و من بين الوحدات الغرافيتية التي أشرت على اللهاث وراء الضفة الأخرى، نقرأ:

"CANADAorUSA" **قسم علم الاجتماع."** Vive la France+GER **" قسم اللغات. "تحيا الحرقة – الحرقة** ELHARGA **.." قسم علم النفس. " الموت و الحوت ولا نتوما" قسم التاريخ.**

4.2.2- غرافيتيا التّقدير الذّاتي:

نوع آخر من أنواع المضامين الغرافيتية استطاع أن يفرض حضوره بقوة، نظرًا للمساحة التي شغلها، ومنه لأهمية التي يحتلها ضمن المنظومة القيمية الثّقافية الطّلابية، الغرض العام من وراءه "تأكيد/تقدير الأنا L'affirmation de Soi"، محاولا إثبات اِنوجاده الفردي أو الجماعي، أو إثباتهما معاً، فالكتابة المتكرّرة للاسم أو اللقب أو الكُنيَة المُنتَحَلَة، يمكن اعتبارها "صرخات صامتة"-للطالب(ة)-تركزت على رسالة عنوانها: "أنا هنا، أنا موجود، رغما عن كل شيء، ورغماً عن كل شخص"، فإثبات الذّات والتّعبير عن "قيمتها" تجلى من خلال كتابة الاسم، أو ضمير

المتكلم، "أنا" "Je" و"Moi"، من خلال ترك أَثَر (trace) للآخر 'المهم'، و 'المعمم'، مهما يكن هذا الآخر (طالب، أستاذ أو أي عامل بالمؤسسة الجامعية، وحتى باقي المجتمع). يأمل، بل يُلِحُّ على هذا الآخر بالاعتراف والتّقدير والاحترام، داخل الفضاء الاجتماعي، المهُنَدَس-في غالبه-وِفقَ علاقات (الهيمنة والتّبعية)باختلاف مستوياتها، واِحترام 'أناهُ' بكل ما له، وما عليه، ولن يتأتى ذلك إلا باحترام أحاسيسه وقِيَمِه ومَعايِيره الثّقافية المتميّزة. ولعلّ هذا ما قصده"جون بيار ألبير Jean Pierre Albert"من خلال عبارته: "إن أيّة ممارسة للتّشهير أو الإعلام عن فكرةٍ ما على أشياء مختلفة، أواني، ألبسة، سيارات هي تذكير الآخرين بوجوده وبهويته، معبّرًا أو محاولا التّعبير عن اختياراته الأخلاقية أو الجمالية"[34]. ويسمي الممارسة بالاستخدام الهويّاتي للكتابات"l'usageidentitaire de l'écriture"، فكتابة الاسم الخاص بالمُمَارِس أو إمضاءه البسيط، أو كنايةٍ يَنتَحِلُها، له علاقة وطيدة بأناه وبهويته. ومن الكتابات التي توحي بـ "التّقييم الذّاتي للأنا"، نقرأ ما يلي:

" OH JE SUIS LA " قسم الأدب العربي .
"VIVE MOI Sec " قسم الفلسفة.

" un peut de respect SVP " نفس المكان. " أنا سعاد و نبغي روحي". علم النفس.

" Lotfi + Mourad + Amel+ Karim= Nous somme La" قسم علم النفس.

الغرض العام من هكذا مضمون غرافيتي، محاولة إثبات واِنتزاع "تقدير الأنا" La reconnaissance du Soi، أي إثبات الإنوجاد الفردي، أو الجماعاتي، وفق "استراتيجية التّكرار stratégie de répétition"[35]. فالكتابة المتكرِّرة، للاسم أو اللّقب، قد تحمل معنى إعلان الطّالب ضمنيًا قوله "أنا هنا، أنا موجود، رغمًا عن كل شيء، ورغمًا عن كل شخص"، وفقاً لـمَبنى "أنا أُغَرْفِت إذاً أنا موجود".

كنتيجة لثقافة التّهميش، الـمُعَشعِشَة في نمطنا التّنشئوي، الرّسمي وغير الرسمي، لجأ الطالب للفعل الغرافيتي للتعبير وللرّد عليها، ومنه اِختلاق تقدير ذاتي. فالغرافيتيا، كما يقول "إ. بنفيست Emile Benveniste" وسيلة فعّالة لإعادة اِمتلاك الذّات، التي من خلالها تتشكل الهوية الذّاتية[36]. ويربط "ألان ميلون Alain Milon" أسباب تفشي الظاهرة الغرافيتية بآفة"الإبعاد الحضري Relégation urbain " ذلك لأن الـمُبعَد -أو "الغَريب l'étranger" كما يُسميه- ليس ذلك الشّخص الذي يُمْنَع من إقليم مُعيّن، وإنّما من الحق على هذا الإقليم. حيث تقوم الثّقافة العامّة للمجتمع باستبعاد هؤلاء، فَيلتجئون بِدورهم لعملية إبعاد أفراد المجتمع، من خلال كتابة هيروغليفيّة مُتميِّزة. إنّها تكشف عن أبعاد المعاناة الحضرية[37].

5.2.2 أبعاد الصّراع:

يعتبر مفهوم 'الصّراع' من أهم المفاهيم الـمُؤَثِّثة لقارّة العلوم الاجتماعية،حيث عرف سِجالات ونقاشات حادّة بين آل التّخصص، في محاولاتهم للتَّفَقُّه في آليات اشتغال العلاقات الاجتماعية، سواء من خلال الصراع المباشر (حروب)، أو غير المباشر، برفض أفكار واعتقادات من يختلف عنّا، دينياً، سياسياً أو فكريا...حضر بعد الصّراع ضمن مضامين الكتابات المنتشرة على الطّاولات، واِتخذ منها:

- **الصّراع بين الأجيال:**

انتشرت بعض المضامين الغرافيتية التي عكست طبيعة العلاقات الصّراعية بشكل ملفت للانتباه، نظرًا للمساحات الّتي شغلها على الطاولات، تنوعت بين كتابات مباشرة في دلالاتها، تعبر عن استياء من العلاقة بين جيل الآباء وجيل الأبناء أو الأحفاد. كانت أبلغها تعبيرا:

" Jé te déteste pa/pa "قسم علم الاجتماع.

"les adultes et la haine. " قسم الفلسفة.

"PA/ PAtu ment"قسم اللغة الفرنسية.

لعل الدّلالة التي توحي بها هذه المضامين الغرافيتية، اختلال في تنشئتنا الاجتماعية، إذ أضحت فجوة الأجيال في اتّساع دائم ومتسارع، فعدم وجود علاقات وتفاعلات إيجابية بين جيل الآباء وجيل الأبناء، وعدم رِضى أي جيل عن الآخر، شكّل هذه الفجوة، مما ثَوَّرَ علاقات صراعية تكاد تكون عامّة،بين جيلا لكبار (المحافظ والمتمسك بالموروث والتقاليد التي تَنَشّأ عليها)، وجيل تَرَعرَع في ظل اِنفتاح اجتماعي وثقافي مُعَولَم. غير أن المشكلة لا تقف عند حَدِّ الاختلاف، وإلا أُعتُبِرَ ذلك أمرًا محمودًا، بل تَتعدى إلى حالة الخِلاف، مما أفرز مظاهر صراع متعدّدة الأشكال (لفظي، مادي، معنوي وغرافيتي)، حيث يَتَّهِم جيلا لآباء (الكبار)، جيلا لأبناء (الشباب) بالسَّطحية والتَكاسُل في تَبَنِي قِيَم ومعايير ثقافية يرون فيها مرجعيات أصلهم وهويتهم، واللُّهَاثَ وَراءَ قيمٍ ومعاييرٍ غريبة عنهم،كاِرتداء ملابس غربية، والاستماع لموسيقى وأغانٍ -يعتبرها- بعيدة كل البعد عن الفن الأصيل. في المقابل يتّهم الشّباب، الكباربتمسكهم بثقافة رجعية مُتَكَلِّسَة، لم تَعُد قادرة على التّعايش مع المتغيرات والمستجدات المتسارعة[38].

- **<u>الصّراع المَناطِقي/الجهوي</u>:**

عكست بعض الوحدات الغرافيتية مستوى آخر من مستويات العلاقات الصّراعية، تمثل في مضامين صراع (غرافيتي) بين الفاعلين أنفسهم، على أساس الانتماء المناطقي (العرش، القبيلة، القرية، البلدية، الولاية). على نحو الوحدات التالية:

"تحيا مغنية كونطرا على ناس تلمسان" قسم التاريخ."عين الصفراء ≠ النعامة" قسم علم الاجتماع.

مضامين تؤشّر على طبيعة الميكانيزمات التي تضبط علاقاتنا الاجتماعية، غالباً ما تُوصف "بالتقليدية"، كمقابل للمكانيزمات الحداثية، التي تتجلى في 'علاقات المواطنة'، التي يُجمع العديد من الباحثين على ضعفها-وإن لم نقل غيابها-.

6.2.2 <u>كرة القدم أفيون الطّلبة</u>:

تعتبر "الرّياضة" في اعتقاد "تالكوت. بارسونز T. Parsons" صَمّام أمان للنظام الاجتماعي، يهدف للحفاظ على بقاء الجيل الناشئ مُندمجًا في ثقافة جِيل الكبار. في حين يعتقد "يورغن هابرماس Jürgen Habermas" بأن الرّياضة بَديل للحرب". إذ تسمح بتنميط وتنظيم العنف، حيث نحترم الخصم داخل الملعب، ونعبر عن ذلك في الملاعب بالهُتاف والصُراخ الحاد[39].

أما على مستوى دراستنا، ما يُلاحظ على الوحدات الغرافيتية ذات المحتوى الرياضي، كلها توحي بمدى تَتَيُّم الفاعليين (les étudiants Graffeurs)، بـ"كرة القدم Le football". فإذا كان "كارل ماركس K. Marx" قد وصف الدّين بأنّه أفيون الشّعوب، فَكُرة القدم اليوم أضحت كذلك. فلم تعد لعبة جماعية فقط[40]، بل فعل ثقافي قوي الحضور، وشكل جديد لتجميع الأفراد والجماعات، واحتكاكهم المباشر، تساهم في عملية تشكيل الروابط الاجتماعية.

عملية -الاحتكاك-هي في حدِّ ذاتها نوع من أنواع التّنشئة الشّبابية، تفرز العديد من أشكال التّفاعل الاجتماعي، كالتّضامن الذي لا يقوم على رابطة الدَم (العِرق)، وإنّما على علاقة جديدة نابعة من قيم الثّقافة الرياضية (الكُرَوِية)، أو حول لعبة ما، ومنه حول فرد أو جماعة ما (لاعب، فريق)، اِستطاعت الإبداع في القيم الرّياضية دون مراعاة الحدود السّياسية والقُطْرِية، وأصبحت عالمية لها أساطيرها و نجومها الذين أبهروا الألوف المؤلفة من الشّباب.

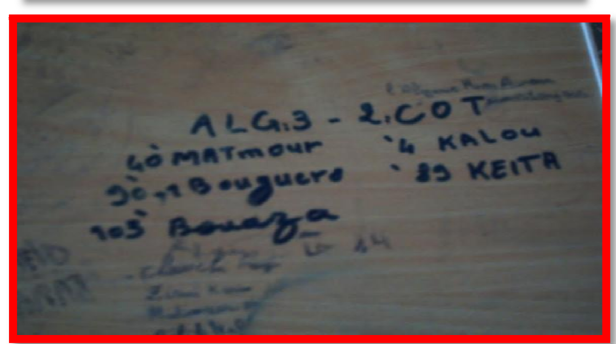
تنوعت المضامين الغرافيتية، المعبّرة عن "الفُوت Foot"، ما بين تكرار وتكرار أسماء وألقاب اللاعبين المشهورين (خاصة الأجانب)، وتَذيِلِها بكلمات الاِعتزاز والتقدير، وكذا أسماء وشعارات (لُغوهات Logos) الفِرق

الرّياضيةالعالمية والمحلية، على نحو الوحدات التالية:

"ZIDAN" قسم علم الاجتماع.

"VIVE RONALDO" قسم التاريخ.





الوحدتان من قسم علم الاجتماع.

لكرة القدم، دورٌ كبير في إِسْتِثارَة وتقوية الرّابطة الاجتماعية بين الأفراد (المشجعين، والمتعاطفين)، ولعلنا نتذكر تلك الحالة -النّادرة في زماننا-أيام تصفيات كأس العالم 2010، التي جعلت أغلب الجزائريين يلتحمون حول فريقهم، بطبيعة الحال لن نهتم بالبحث عن أسباب هذه الحالة، لأنّها تحتاج لعمل بحثي مستقل. فقد تلعب الرّياضة عامّة و كرة القدم خاصّة، دور الإسمنت (cimentle) الذي يَرأَب ويَردُم الشُّقوق والانقسامات بين الأفراد والجماعات، وحتّى بين المجتمعات[41]. كما يمكن أن تُحدِثَ العكس، تزيد في الانقسامات، بل تضفي وتذكي الثورات والحروب. كما يُؤكده مُؤلف كتاب" الكرة ضدّ العدو"[42] (الأوغندي الأصل والبريطاني)" سايمون كوبر "S. Koppers".

7.2.2- غرافيتيا المجموعات:

- **مجموعات الانتـماء:** كثيرًا ما أُستخدمت الكتابات الغرافيتية للإعلان والتَّشهير (الايجابي) للحيّز الجغرافي الذي ينتمي إليه الطالب، كمؤشّر من مؤشّرات الثقافة والهوية المَناطِقِيَة، المحلية... حضر ذلك بكتابة أسماء المنطقة التي ينتمي إليها، إما الولاية، أو الدائرة، أو البلدية، أو المنطقة والعرش والقبيلة، إما مُفَخَمَة أو مُذيَلَةٌ بأوصاف التَّبجِيل والفخر والاعتزاز، من خلال لازِمَة (تحيا، Sec،vive...). حيث نقرأ ما يلي:

" تحيا vive سبدو" قسم التاريخ."ندرومة-ندرومة بلاد العز و الشان" قسم الأدب العربي.

" ناس الصحراء ناس الحْيا والقَمْنَة" الأدب العربي.

- **الجماعات المرجعية الطلابـية:**

تضمنت بعض الوحدات الغرافيتية مضامين رَامَ من وراءها الفاعل الكشف (والإعلان والتّشهير) عن إنتماءه للجماعة الطلابية التي ينتسب إليها –على الأقل مؤقتاً-، ومدى توافقه مع طلاب نَسَجَ معهم علاقات صداقة –ولو مؤقتًا أيضا-نتيجة التّفاعل الايجابي بينهم، وتشاركهم في نفس الاهتمامات والشَّواغل، إذ رأى أنّهم يلائمونه في التّكيف، وتَخطي إكراهات النَّسق الجامعي، سواء في بعده الرّسمي أو غير الرسمي. حيث اِلتجأ الطالب لكتابة (غَرْفَتت)، أسماء وألقاب مجموعة أصدقائه/زملائه، ممن يتقاسمون معه وِجهَة النّظر، حول بعض الأمور التي يرى أنّها مُهمّة. إنّها مضامين تعكس دلالة ما يسميه أنصار التّفاعل الرّمزي بالانتماء للجماعة المرجعية. تلك الجماعة التي ينتمي/يتماهى إليها فكريًا أو اجتماعيًا، أو قيميًا، لموازنة سلوكه،أو إحراز صورته الاجتماعية، أما مسلطة الآخر (غير). تتباين أُسُس التَّوافق الجماعاتي، ما بين الأصل المَناطِقي، والانتساب التَّخصصي (الأكاديمي)، والتّعايش الإقامي (الإقامة الجامعية). نورد بعض النماذج لتقريب الفهم:

"FATIMA + KARIM+ SID AHMED =Dep Anglais "قسم اللغات.

" Amin+fatima +Amel+ Ramzi= Amitié for ever"**قسم الفلسفة.**

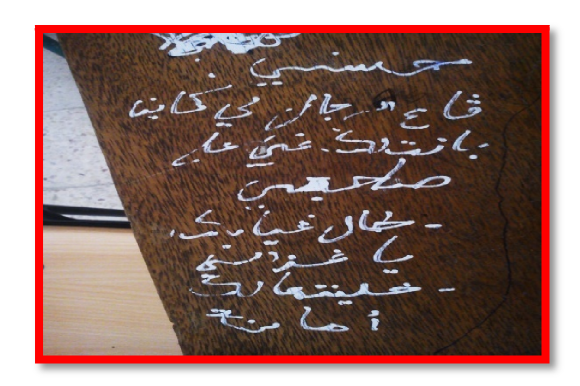
8.2.2 <u>المغنـي(ة) سَفيـرُ فوق العادة</u>:

كثيرًا ما كانت الموسيقى والأغاني بألوانها وأسمائها المتعددة، وسيلة فعّالة لإمتداح أو انتقاد الأوضاع، الاجتماعيّة والثّقافية والسّياسية. ما رشّحها لتكتسب خاصية مُنفَردة، تفتقر إليها الأساليب التَّبليغية الأخرى. وهذا ما جعلها في تصور "مينيو باتريك Mignon Patrik" أول منتوج اِستهلاكي يُوَزَّع للشّباب"[43].

على مستوى المُتُون الغرافيتية، عكست العديد منها درجات التَّتَيُّم، بالمغنيين الجزائريين والعرب، خاصة في الطابع "العاطفي Sentimentale" و"الاجتماعي Sociale"، كمؤشّر للاختلالات العاطفية والاجتماعية. تجلّى ذلك من خلال 'غَرفَتَتِ' أسماء وألقاب هؤلاء السّفراء بالنّسبة للشّباب[44]. نقرأ منها:



قسم التاريخ.



قسم الترجمة

chanter ="HASNI…LOTFI…" sentimentale"[45] طاولة إعلام آلي/المكتبة المركزية.

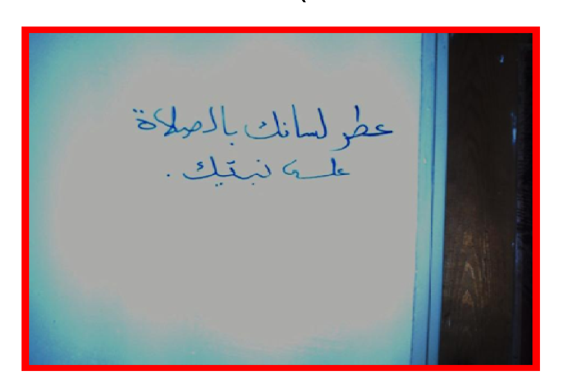
تَتَّصِف "الأغاني العاطفية والاجتماعية" بأسلوب مباشر، ولغة صّارخة -في أغلب الأحيان- ، في البَوح بِما يشعرون به، من أمور عاطفية وغرامية، وما تُفرِزُه من انفعالات. بل أضحى- رَاي الشّبابLe Rai des chebs-حسب "سليمان إبراهيم" (صحافي وباحث في مجال الموسيقى)، عبارة عن سَفير ثقافي مُخلِص للشّعب الجزائري في جوانب عِدَّة، بدءًا باللّغة المُستخدمة في توصيل المقصود، ووصولاً للجوهر، أي، بحفظ اللّهجات المحلية، والتي بدورها تعتبر الأرشيف الذي يحفظ القيم الثّقافية المحلية. إنّه السَّفير الأكثر تَوَدُّدًا ووَفاءً للجزائريين[46].

إرتقى المغني في تَمثّل الطالب (الشّاب)، لمرتبة (دور) النّاطق الرّسمي بِإسمه، أمام سُلطة المجتمع، التي تَضع حواجز وإشارات تَوَقُّف(ـات) stop(s) أمامه، قبل الشُّروع في الكلام، عن مَكبُوتاته وهمومه ومشاكله. حيث تمكن الـمغني(ة) le chanteur (euse)، من التَّحَرّر من هذه الحواجز (الإكراهات)، واكتساب مَلَكَة التّعبير الجَهْري، والمباشر عن هموم ومشاكل يتشاركه فيها الطالب(ة)، إذ استطاعوا أن يَهيمُوا بآلاف الشّباب، فَتَارَةً يَتَقَمَّصُون دور "النَّقابي المَهمُوم" بمشاكلهم العاطفية والاجتماعية، وتارةً يَجُرّونهم لِمُقاسَمة أحلامهم وآمالهم المفقودة والمنشودة، باستخدام لغة ذات مفردات مُتميِّزة، ومضمون خاص.

9.2.2 <u>مضاميـن غرافيتـية متفرقة</u>:

تبقى بعض المضامين الغرافيتة، التي لم ترتقي لتُهندس فئة مستقلة من حيث عددها، جمّعناها تحت اسم "مضامين غرافيتية متفرقة". تنوعت ما بين عبارات تتحدث عن الأوضاع الأمنية، وأخرى عبارة عن نصائح وارشادات

(دينية و علاقاتية عاطفية).



قسم الأدب العربي



مكتبة قسم التاريخ و الآثار[47]

وزُمرَة من الوحدات، وردت في شكل صور أغلبها مرتبط بالسّيارات والدّراجات النّارية، كمؤشر على طبيعة تقييم الافراد في المجتمع، نتيجة هيمنة "ثقافة الاستهلاك".

هذه أهم الفئات الغرافيتية، التي استخلصناها من الوحدات المستجمَعَة، حاولنا تقديمها بنوع من التفصيل، رغم خضوعنا لإكراهات الكتابة المَقالية، مما يعني أنه يمكن للقارئ الكريم أن يفصل فيها إذا عاد لمتن دراستنا المتواضعة.

3. وظائف النص الغرافيتي وعلاقته بالثقافة الرسمية:

1.3. المضامين الغرافيتية بين التّجليات والوظائف:

بقراءة تأمّلية لتجليات المَتن الغرافيتي الطّلابي، نلفيه يتمظهر من خلال كتابات ورسومات وصور وأشكال هندسية، جثت على العديد من الوسائط والدّعامات، من أهمها الطاولات والمكاتب. غالبا، ما تُوسَم -وتُوصَم- ممارسة الكتابات الغرافيتية بالطّابع القدحي والهجائي للمواضيع المطروحة، أو عبارات تعجّ بالسِّباب والشّتم، بهذا الطرف أو ذاك، وعادة ما تخص أسماء طلاب أو طالبات أو أساتذة، أو أسماء أشخاص معينين (مسؤولين)، في مختلف المجالات الحياتية. أو جهات ومناطق إقامية. كما يمكنها أن تتضمن ما هو ممنوع اجتماعيًا ("مقدس")، الحديث عنه عَلَناً، على نحو، أسماء الأعضاء الجنسية، أو مفردات وكلمات تُؤَشِّر على هكذا ممارسة، أو رغبة فعل ذلك.

من مميزات الخطاب الغرافيتي الطلابي، انفتاحه على متغير "الزّمن"، إذ يتصاعد من اللّحظة الماضية المسترجعة عبر التّذكر (التاريخ الفردي والجماعي)، إلى أن يصل اللّحظة الآنية، المنفتحة بدورها على الوضع الرّاهن والمعاش اليومي، ليمتد إلى الآفاق المستقبلية (أحلامه)، عبر التّخيل لحياة وآفاق تكون أحسن من الماضي والحاضر. ويظهر ذلك جليًا من خلال تصريف الأفعال، من الماضي إلى المضارع. فالكتابة تجعله ينتقل من الحاضر إلى الماضي إلى المستقبل.

تُعبِّر الكتابات الغرافيتية -في مجملها-عن قِيم ثقافية طلابية، أغلبها ذو طابع مُناقض أو مُضاد، أو مُتمرِّد على قيم الثّقافة المؤسّسية، باعتبارها نسق أيديولوجي سياسي،وثقافي هُويَّاتي، تعمل مؤسسات التّنشئة الاجتماعية على ترسيخه في أذهان الفاعلين. فَبَعد عملية التَّحليل والتّدقيق للكتابات، وتصنيفها حسب مضامينها، ظهر لنا جليًّا سيادة الخطاب الـمُدَنَّس (بالمعنى السوسيولوجي)، على مُحتويات النّص الغرافيتي، وإكتساح الخطاب الفاضِح -بشكل مباشر- لمسائل تعتبر محظورة، أو على الأقل هامش حرية التّعبير عنها مُحَدَّدٌ سَلَفاً، داخل الأُطر العامّة لمؤسسات التّنشئة (الأسرة، المدرسة، المسجد، الجامعة). إنها مضامين مُشاكِسَة للرسمي (التنظيمي، الثّقافي...)،

سواء فيما تعلق بمسألة التَّحْرَاز، أو العاطفة والجنس، أو علاقات الصِّراع والاحتجاج. كلها مسائل توحي بِغَلَبَة الطابع الـمُدَنَس (غير الرسمي، غير القانوني، "الحشُومَة والعَيب"، الهامشي، غير المَرغوب فيه..). جُلها صفات قد تنتظم فيها مُجمَل المضامين الغرافيتية.

ولعل هذا ما شَجَّع 'عادَة' اِستخدام ياقِطَة "المُقَدس" بمفهومه الواسع،-دون تمحيص-لِدَحض وتَعْبِير الممارسة الغرافيتية في أبعادها المتعددة، سواء بحجة الحرام، أو العيب، أو الممنوع، أو الحشومة.

وفيما يخص الفضاءات التي يشغلها من خلال فعله، ابتدأ بالطاولة (باعتبارها أقرب فضاء إليه)، ثمّ يطول المقعد الدّراسي، ومكتب الأستاذ، وجدران الفصل والسّبورة، باعتبارها أمكنة داخلية، غير أنه يتجاوزها، ويستثمر ما هو خارجي، كالجدران الخارجية، والأعمدة واللاّفتات. كل هذا من أجل التّحَرر -ولو غرافيتيًا- من سلطة الرّقيب المؤسّساتي. ويؤكد للآخر، رَدّات فعله ضدّ ضروب الإقصاء والتّجاهل، والتّهميش. وفي هذا، يؤكد الباحث المُتَمَرِس "ألآن ميلو Alain Milon" أن ظاهرة الغرافيتيا ناتِجة عن ظاهرة أخرى، هي "التَّهميش الحضري"، ذلك أن الشّخص المُهَمَّش، ليس ذلك الذي يُمنَعُ من الإقامة في إقليم معيّن، وإنّما هو ذلك المَرءُ الذي عَمِلَت الثقافة المجتمعية على اِستبعاده -عن قصد أوعن غير قصد-فيلتجأ لوسيلة الكتابة الهيروغليفية الغرافيتية، للرّد عليها -الثقافة المجتمعية-ومنه على الإقصاء والتّهميش[48].

كما يعبّر من خلال هذه الممارسة،عن رغبة نفسية، تتمثل في تصريفه لطاقاته المكبوتة، ورغباته الممنوعة، التي انتشرت في الغرافيتيا، نتيجة عدم تَوافُر قنوات تعبيرية ملائمة، للتعبير الحر عن خصوصياتهم الثقافية. ومن هنا، يشير"محمد حمّود"، إلى أن هذا الخطاب الواصِف يصبح بمثابة "علبة سوداء"، نقرأ من خلال صورها الغامِقَة، لحظات تاريخ النّظام التّعليمي في تعرّجاته، وانقطاعاته المحفورة على المَسانِدَ المدرسية، ويمكن القول، أن هذه "العلبة السّوداء" هي مُكاشَفَة للنّظام الاجتماعي ومنه الثّقافي[49].

نستخلص ممّا سبق، تشابك وتداخل أنساق الكتابة الغرافيتية الطّلابية، وانفتاحها على التّعددية الخِطابِيَة، وتوّزعها وانتشارها على فضاءات مختلفة (طاولة،كرسي، جدار،..). ظهرت لتلبي وظائف متعدّدة لدى الفاعل الجامعي، على جميع المستويات، وجوانب عدّة من شخصيته، التي تتغير وفق وسط وظروف متباينة، تجعله يتفاعل مع محيطه الاجتماعي والثّقافي الذي يتواجد فيه، إضافة إلى كونها تكشف لنا عن اِختلالات وظيفية،على مستوى وظائف "الوكالات التّنشِئَوية"، الموكَل لها وظيفة إعداد هذا الطالب، ليكون فاعلا (إيجابيا) في مجتمعه. مما يدفعنا، لضرورة التّدبر، وإعادة النّظر في هذه الأنظمة وميكانيزمات سيرها، وتيسيرها للمجتمع، من أجل جعلها متفاعلة بشكل إيجابي مع الطّالب(ومنه مع الفرد الجزائري)، بتنمية كل جوانب شخصيته حتّى نتفادى -قدر المستطاع-الاختلالات (الأزمات) التي يعاني منها. مع تنمية ملكة احترام "الرأي الآخر" لديه، وإتاحة الفرصة لطاقاته وقدراته، واحتضانها بفتح قنوات اتصالية/ تواصلية تستجيب لحاجاته، ومطالبه النَّمائية والحياتية، باختلاف أبعادها وأشكالها.

صفوة القول، يمكننا الجزم أن الغرافيتيا الطّلابية يمكن عَدّها بوابة عبور، نحو عالم الطّلبة المتميّز، بكل مكوناته وخصوصياته ومميزاته (النّفسية، الاجتماعية، الثّقافية). وللكشف عن خصوصياته يُفترض بنا تفكيك رموز هذه الممارسة الغرافيتية، كما يؤكده الباحث "جون بودريارJean Baudrillard"[50]، بهدف -محاولة- الوقوف على المعالم الأساسية المهندسة للثقافة الطلابية، الذي يجهلها الكثير-للأسف-خاصة من طرف المقرّرين والقائمين على إعداد هذه الفئة (قِشْدَة المجتمع). ذلك لأننا نعتقد أن هذه الظّاهرة لا تستلزم الشَّجبَ والمطارَدَة، والإقصاء والنَّظرَة

الدُّونية، وإنّما التّعقل والمبادرة، وعدم المهادنة في معالجتها، بالفهم والتّحليل، واستخلاص النّتائج، باستثمار كل العلوم، خاصة العلوم الاجتماعية.

الهوامش:

[1] يشكل متن هذا المقال صيغة معدّلة لملخص دراسة قمنا بها في سياق التّحضير لمذكرة الماجستير سنة2007، وسمناها بـ"الثقافة الطلابية من خلال الكتابات الغرافيتية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية نموذجاً" (إشراف الدكتور: بشير محمد. وإن كان اِنهِجاسُنا بالممارسة الغرافيتية يعود لسنة 1997، في سياق التحضير لمذكرة الليسانس-رفقة الزميل "خيثر محمد"- تحت إشراف الدكتور "غريد جمال الدين"، بجامعة السانيا- وهران.

[2] تذكر الأدبيات التاريخية والسوسيولوجية أن أول مقاربة عملية للمفهوم، كان على يد الباحث "آبي كاروسي Abbé Garruci"، وأن أول عمل أرَّخ وحلّل ظاهرة الغرافيتيا بلونها المعاصر في بعدها اللغوي، يعود للباحث اللغوي الأمريكي "ريد Read ".

[3] يصف "ألان ميلون Alain Milon" الغرافيتيا على أنها تعبير عن "روح المدينة"، غالبًا ما يُنظَر إليها على أنها ممارسة غير شرعية (غير قانونية)، تصدر من شخص متمرد، بل يمكن اعتبارها جُذامُ يغزو و يحتل جدرانها"&.

&Raymonde Séchet, "Le populaire et la saleté :de l'hygiénisme au nettoyage au karcher'', UMR 6590 CNRS ESO, Université Rennes 2, p7.

[4] بلغة الباحث في علم الاجتماع "عبد الرحيم العطري" مناطق الظِّل و العَتَمَة في المجتمع.

[5] يعتقد الباحث"Ben" كغيره من الباحثين ("A.Vulbeau")، أن الغرافيتيا تعبر عن المُطالبة والبحث عن الاعتراف بكينونة الفاعلين.

[6] في وقت تعالت أصوات العديد من الباحثين حول "أزمة القيم" التي يعيشها مجتمعنا.

[7] كما يروج له بعض من يعتمد على الحس المشترك في مقاربة الظاهرة.

[8] على المستوى المحلي، تعتبر أحداث أكتوبر 1988، وقبلها، أحداث الربيع الأمازيغي الأول 1981، بالإضافة لأحداث 2001، بذات المنطقة، وأحداث جانفي 2011، العنف في الملاعب،"المأساة الوطنية،...، من أقوى الدّلائل.

[9] "دومينيك رينيي" منسق تحرير : التقرير العالمي للشباب 2011: قيم و اتجاهات الشباب العالمي. (La jeunesse du monde :enquête planétaires 2011) .

[10] إذ كثيرا ما لازمت النّظرة القَيمِيَة المعيارية الممارسة الغرافيتية، حتى بالمجتمعات الغربية مَهد ميلادها، كظاهرة بحثية، مما جعلها نَسياً مَنسِيًا على مستوى المحتذى المعرفي، خاصة السوسيولوجي.

[11] Robert George Reisner, Lorraine Wechsler, "Encyclopedia of Graffiti ",New York, Macmillan, 1974.

[12] المُغَرْفِت Graffeur: الطالب المُمارِس للكتابة الغرافيتية.

[13] يتميز 'الفعل الاجتماعي' حسب "ماكس فيبر M. Weber" رائد السوسيولوجيا التَّفَهُمِية، بمقاصد و دلالات ذاتية يتعيّن إدراكها لدى الفاعل المعني من جهة، كما يتميز بخاصية البَين ذاتية نظراً لارتباطه بسلوك الغير.

[14] LAROUSSE, Dictionnaire Encyclopédique Illustré, 1998, p .707.

[15] اسمه الحقيقي"Gyula Halász "، (1899 – 1984)، روماني الأصل، متخرج من مدرسة الفنون الجميلة ب "بُوداباسْت"، سافر إلى ألمانيا ثم فرنسا 1924، عمل صحفيًا، ثم مصورًا وباحثًا. معتمدا على اسم مَسقَطِ رأسه"de Brassó"انتحل لنفسه كنية " Brassaï"، له العديد من المؤلفات من أشهرها: "Paris de Nuit، 1933 ، و" "Graffiti، 1960.

[16] William MAC LEAN, Graffiti. Encyclopédia Universalis. Vol7, 1976, p 850.

[17] أما "الغرافيتولوغ Grafitologue" فهو الباحث الذي يهتم بدراسة، تقنيات، تاريخ، مصطلحات، وفلسفة، وممارسي الغرافيتيا. أُستخدم لأول مرة في 'بروكسل' سنة 2003، من طرف" Monzon du Tas "- ممارس وباحث في الغرافيتيا- خلال إحدى اللقاءات حول الظاهرة".

[18] Glen D. CURRY& Scott H. DECKER& William P. MCLEAN., ''GRAFFITI'', Encyclopedia Universalis, 2011. (DVD).

19 نقصد **بالوحدة الغرافيتية:** كل كلمة أو جملة، أو رسم، أو رمز،أو صورة، ذات معنى مُحدد، كُتِبت منفصلة ومستقلة عن الوحدات الأخرى، من لَدُن الفاعلين على دعامات مُتعددة، بالفضاء الجامعي.

20 نظرًا لمتطلبات الكتابة (المَقالِية)،لن نخوض في إشكالية التّصنيف التي واجهت الدّارسين لظاهرة الغرافيتيا. لكن يمكن الرجوع إليها ضمن مبحث خاص ضمن متن رسالة الماجستير.

21 John Bushnell," Moscow Graffiti: Language and Subculture", Boston, Winchester Mass: Nuwin Hyman, 1990, 263 p.

22 Tony Cohan,"Street Writers: A Guided Tour of Chicano Graffiti", 1975.

23 Jane Gadsby, "Taxonomy of Analytical Approaches to Graffiti", 1995. http://www.graffiti.org/faq/appendix.html ,consulted: 22/02/2009.

24 Michel De Certeau, "L'Invention du Quotidien, Art de Faire", Paris, Union général d'éditions,1980,374p.

25 باِستثناء بعض كتابات المراحيض (Latrinalia)* التي كُتِبَت بالبُرَاز.

***لاترينااليا Latrinalia (غرافيتياالمراحيض):**المصطلح من نَحتِ العالم الأنثروبولوجي الأمريكي "ألاندنديز A. Dundes" لِتَوصِيف نوع من الغرافيتيا الخاصّة بالمراحيض أطلق عليه اسم (Latrinalia). في سياق دراسته حول غرافيتيا المراحيض العامة، والموسومة ب" Here I sit : A study of American Latrinalia"، لينتشر اِستخدام المصطلح من طرف العديد من الباحثين. من بينهم الباحث البرازيلي " Plaza Ranata Teixeira" الذي قارَب الظّاهرة من خلال مقارنته بين العديد من الكتابات الغرافيتية، التي جمعها من دول شَتَّى. وقد اِنتقد "إيرنست آبل Ernest Abell" هذا التعريف إذ يعتقد بأنه لا حاجة لنا بمصطلح جديد مادام جوهر المصطلح الذي أَورَدَه " أ. دنديز A. Dandes" يدل على الظّاهرة نفسها دون تداخلات جديدة.

26 تعمدنا كتابة المضامين الغرافيتية الطلابية كما وردت على الدّعامات، للحفاظ على معانيها المعبّرة، والتي تحتاج لاستجلاء أكثر.

27 يجب لفت الانتباه إلى تواجد أشكال أخرى تمزج وتخلط بين الأشكال الثلاثة لإيصال الرّسالة الغرامية.

28سيتم تفصيل ذلك لاحقا، بعدما قاربنا الظاهرة في فضاءات ودعامات مجاورة، نوردها في متن دراستنا اللاحقة.

29 ظاهرة واسعة الحضور بالفضاء الجامعي، حتى بالجامعات الغربية، لكن بدرجات متفاوتة الانتشار.

30 مصطلحٌ مُستَقَى من رَحِم "الثقافة الطلابية".

31 نشرت صحيفة "Daily Mirror"البريطانية لشهر فيفري 2010، أن الوكالة البريطانية لمراقبة الامتحاناتOFQUAL" سجلت خلال السنة الماضية أزيد من 4500 محاولة غش، خلال امتحانات الشّهادة العامة للتعليم الثّانوي GCSE، وشهادة "المستوى أ A- Level" (التي تعادل شهادة الباكالوريا عندنا)، أغلب حالات الغش (حوالي1897 حالة)، أُستخدمت فيها وسائل ممنوعة (الهواتف النقالة، الآلات الحاسبة، القواميس الالكترونية، والحوليات،..

32 الامتحان في اعتقاده وسيلة وليست غاية في حدّ ذاته، وسيلة لكشف مواطن القوة، ومواطن الضعف في العملية التربوية، بُغية تحسينها. ومقياس تعتمد عليه الدول والمؤسسات لتجيز للشباب الانتقال من مرحلة إلى مرحلة أعلى في السلم التعليمي، أو للدخول إلى الجامعة أو للمباشرة بوظيفة أو عمل.من هنا كان التناقض الذي حصل عمليا، وأصبح الامتحان غاية لا وسيلة، فأدى لانتشار أساليب الغش.

33محمد حمود، "قراءة في الخطاب الهامشي..."، الحياة الثقافية/التونسية، وزارة الثقافة التونسية، عمزدوج68/67، 1994، ص44.

34 Jean Pierre Albert,"Etre soi : écriture ordinaire de l'identité",ed : BPI,1993, p .259.

35 Alexandra Saemmer& Moniaque Maza, " E-Formes:écriture visuelle sur supports numériques ", Publication de l'Université de Saint-Etienne: 2008, p. 66. (Google Books).

36 EmileBenveniste, "Problèmes de linguistique générale", Paris, Gallimard, 1975, p. 260.

37 Alain Milon, "Tag et Graff Mural, visage et paysage de la ville", Les Annales de la Recherche Urbaine, n° 85,pp.140-147.URL : http://www.annalesdelarechercheurbaine.fr/article.php3?id_article=238, consulté :11/09/2011.

38 يشير الباحث "محمد علي محمد" في دراسته، لدور ثقافة الشباب في إحداث نوع من الانفصال بين الشباب والمراهقين، وبين الشباب والكبار، مما أدى لتبلور ثقافات فرعية، تتصارع فيما بينها في كثير من الأحيان. من خصائص هذه الثقافة انطواءها على النقد و المعارضة.

39 على نحو ما حدث في إسبانيا في عهد " فرونكو Franco"، حيث لم يجد "الكاتالونين" سوى الملاعب للتّعبير والتحدث الحر بلغتهم الأصلية. نفس الأمر حدث سنة 1998 عندما انتصرت إيران على الولايات المتحدة الأمريكية، في مقابلة كرة القدم، إذ لم تتجرأ السلطات الإيرانية وقف آلاف المتظاهرون(رجالا ونساءً) عندما خرجوا للتعبير عن فرحتهم بالانتصار، عكس ما حدث في مناسبات أخرى، و ينسحب الأمر على العديد من البلدان(العربية والإفريقية).

40 كرة القدم -حسب" ألان إرانبارغ Alain Ehrenberg "-ليست رياضةً فقط، بل وجهة نظر خاصة بالحياة".

Alain Ehrenberg, "Le culte de la performance", Paris, Calmann-Lévy, 1991, p. 55.

41 ويمكنها أن تُحدِث النقيض، تهدم أواصر التجاور والعيش المشترك، ولعل ظاهرة "العنف في الملاعب" أقوى مؤشّر.

42 Simon Kuper,"Football Against The Enemy" , Pub: Orion, 2011, 256.p*.

* كتاب مهم، يُلامِس علاقة الكرة (الساحرة المستديرة)، بالعالم الخارجي، علاقتها بالسياسة، بالاقتصاد، بالمجتمع،وبالتاريخ عامة. كما يصف– المؤلف-بدقة متناهية كيفية مساهمة كرة القدم (الأكثر شعبية في العالم) في إِسْتِوْقاد وشحن الثورات عبر العالم. تُرجِم الكتاب لعدّة لغات، من بينها اللغة العربية حيث ترجمه الكاتب الأردني " الدكتور خليل راشد الجيوسي" تحت عنوان "الكرة ضدّ العدو".

43 Mignon Patrik, Marty Pierre, " La Musique forme la jeunesse", ANIM'Magazine, N°45, janvier, 1999, pp.20.23.

44 تَيَمُّنًا، جعل أحدهم يكتب على جدار " قُمْ لِلمغنِّي وفِّهِ التَّصفِيرَا كاد المغنِّيْ أن يكون سفيرا".

45 نذكر أننا تعمدنا نقل الوحدات بأخطائها للحفاظ على مصداقيتها.

46 Brahim Hadj Slimane,"Musique Algérienne", dans : Algérie, histoire, société et culture", (Ouvrage collectif), coordination, Hassan Ramaoun, Algérie, Alger, CASBAH édition, 2000, pp. 280-299.

47 أوردناها بأخطائها اللغوية حفاظاً على دلالاتها الممكنة.

48 Alain Milon," L'étranger dans la ville - Du rap au graff mural",(Coll. Sociologie d'aujourd'hui), Paris, PUF, 1999,145p.

49 محمد حمّود،"قراءة في الخطاب الهامشي"، كتابات معاصرة، العدد 22، 1991.

50 Jean Baudrillard, 'Kool Killer ou l'insurrection par les signes', L'échange symbolique ou la mort, Paris, Gallimard, 1976, pp.128-138.